

الظواهر اللغوية والنحوية في القرآن الكريم

أحمد الحسن سماعة*

مباحث البحث:

- 1 - يعالج هذا البحث الظواهر اللغوية والنحوية في القرآن الكريم مما جاء قياساً على المسموع من كلام العرب، ويستعرض الباحث تلك الظواهر من منظور منهج جمهور المفسرين في التبيان، ومنهج اللغويين في السماع، ومنهج النحويين في القياس.
- 2 - فنّد الباحث فيه أقوال أصحاب الرؤى المخالفة، مؤسساً حجته على الآتي:
 - أ - القرآن الكريم هو خاتم الكتب، أنزله الله على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، وأن ما ظاهره لحن في القرآن إنما هو من ضروب بلاغة القرآن وفيها ما أعجز ويُعجز.
 - ب - إن ما ظاهره (لحن) في كثير من الآيات التي عرضنا لها في هذا البحث وفي غيرها مما لم نعرض له؛ هي ظواهر إعجازية، ووجه الإعجاز فيها يتمثل في أن القرآن الكريم؛ قد نزل متضمناً لغات العرب - أي لهجاتها - إنْ بلفظها وإنْ بمعناها ومن هذه اللغات ما هو شاذ بحكم المسموع من كلام العرب قياساً على منهج النحاة وأهل اللغة وعلى قياسهم وردت القراءات الشاذة.

* دكتوراه في اللغة العربية من كلية الآداب، جامعة الخرطوم؛ أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

- ج - لقد بينّا أن تلك الظواهر في القرآن إنما هي لغات قالتها العرب ثم حكاها القرآن بلفظها، وهي على كل حال ظواهر محدودة، وهي في لغات العرب محدودة كذلك.
- د - ليس ما يتوهم أنه لحن في القرآن بلحن؛ إنما هو - على ما أشرنا - لغات حكمتها العرب، فجاء القرآن بذكرها إمعاناً في التحدي.
- هـ - لم يُنقل عن الرسول ﷺ وهو أفصح العرب أنه استنكر بعض لغات العرب لا سيما الشاذ منها، وعلة ذلك ورودها في القرآن .
- و - إن القبائل - باختلاف لغاتها - كانت في قراءتها تحرص على روايتها ولا ترضى الواحدة برواية الأخرى بديلاً.

مسائل البحث:

قدّر الزمخشري،¹ وابن كثير،² وابن الكلبي،³ وأبو البقاء العكبري،⁴ والنحاس،⁵ وابن المثنى،⁶ وابن الأنباري،⁷ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ رَّانٍ﴾ (طه: 63) اسم إن ضمير شأن محذوف و"هذان ساحران" مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر إن، وعزا ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ رَّانٍ﴾ إلى اللغة لا إلى الإعراب، وعزا الفراء⁸ لبعض القراء قولهم: هو لحن، لكننا نغضى عليه لئلا نخالف الكتاب.

وفي القرآن كثير من هذه الظواهر اللغوية التي ظاهرها اللحن وليس بلحن، وقد

1 جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ج 2، ص 543.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الجليل/ الخرطوم: الدار السودانية، ط 1، 1408هـ/ 1988م) ج 3، ص 153.

3 محمد بن أحمد بن الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل (د. ت) ج 3، ص 15.

4 أبو البقاء عبد الله العكبري، إعراب القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م) ج 3، ص 43.

5 أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي (عالم الكتب، 1405هـ/ 1985م) ج 2، ص 123.

6 أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 2، 1401هـ/ 1981م) ج 2، ص 21-23.

7 أبو البركات بن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400هـ/ 1980م) ج 2، ص 14.

8 عبد الله بن عباس، تنوير المقباس، شرح مجد الدين الفيروزآبادي (بيروت: دار الفكر، د. ت) ص 263.

9 أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: نخاعي، والنجار، شكيب، وناصف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1966م) ج 2، ص 18.

السادس: الزيادة والنقصان جرياً على عادة العرب نحو قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: 100)، قُرئ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

السابع: اختلاف القبائل في الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل وكسر حروف المضارعة وقلب بعض الحروف كقراءة بعضهم في ﴿حَتَّى حِينَ﴾ (الصفات: 173) (عَتَى حِينَ) بلغة هذيل.

شروط القراءات

أما القراءات فقد جعل جمهور العلماء لها شروطاً ثلاثة:

الأول: موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا.

الثاني: موافقتها قواعد العربية ولو بوجه.

الثالث: صحة إسنادها، وقد أبدل ابن الجزري هذا الشرط - بتواترها؛ لأنها لا تثبت إلا بالإسناد المتواتر وبها تكون القراءات الأربع الزائدة صحيحة الإسناد ولكنها أحادية السند فليست متواترة وهي بالتالي ليست قرآناً يُتلى ويُتَعَبَّدُ به، وتصبح القراءات المُجمَع على تواترها هي السبع.¹³

والقراءات المتممة للعشر تختلف على تواترها والأصح أنها متواترة، أما الأربع الباقية فمتفق على شذوذها وبذلك تُصبح القراءات المقبولة هي العشر دون غيرها، وخالف المفسر العلامة عبد الله الطيب هذا القول وزعم أن جميع القراءات التي جاءتنا من السلف حُجَّة، وعلى ذلك لا يصح قول من قال بشذوذها (حاشا) ما ثبت منها بالإسناد المتواتر.

القراءات الشاذة:

أما القراءات الشاذة فقد ورد منها:

¹³ انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 76، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص 183، الزخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج 2، ص 143.

(بعوضة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾
(البقرة: 26) بالضم في قراءة مالك بن دينار وغيره.

(أَذْهَبَ) في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ (البقرة: 17) قرأ بعضهم أَذْهَبَ اللَّهُ
نُورَهُمْ.

(تشابهت) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ (البقرة: 70) في قراءة أبي
محيسن.

(مصدقًا) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾ (البقرة: 89)
في قراءة أبي محيسن وغيره.

(أو) في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ (البقرة: 100) في قراءة أبي
السمّال¹⁴.

(يتم) في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: 233)، في قراءة أبي محيسن¹⁵.

(فيغفر، فيغفر، بالرفع والنصب والجزم في قوله تعالى: ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ
فَيَغْفِرُ﴾ (البقرة: 284) في قراءة بعضهم¹⁶.

(ويكفر) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخَفَوْهَا وَتَوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَنُكْفَرُ
عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (البقرة: 271) في قراءة ابن عباس¹⁷. (ويكفر عنكم من سيئاتكم)
(بعض ما تحبون) في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل

¹⁴ أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي

ناصر وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1389هـ) ج1، ص99.

¹⁵ النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج1، ص204، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحیط (القاهرة:

مؤسسة الرسالة، د. ت) ج2، ص361.

¹⁶ نور الدين علي بن محمد الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك (القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية

- عيسى البابي الحلبي، د. ت) ج4، ص24، النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج1، ص339؛ أبو حيان،

البحر المحیط، مصدر سابق، ج2، ص325.

¹⁷ الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص211.

عمران: 92) في قراءة ابن مسعود. 18

(تكفروه) بالتاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ (آل عمران: 115) في قراءة نافع. 19

(يُذِرْكُمْ) بالضم في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ﴾ (النساء: 78) في قراءة طلحة بن سليمان. 20

(رِدُّوا) بكسر الراء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام: 22) في قراءة يحيى بن وثاب.

(زَيْن... قتل) بالضم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ (الأنعام: 137) في قراءة عبد الرحمن والحسن. 21

قال النحاس: 22 هذه قراءة أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة إلا عبد الرحمن والحسن فإنهما قرأا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ﴾ بضم الزاي ﴿لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ﴾ برفع قتل، وخفض أولادهم، و﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بالرفع.

وقرأ بعضهم ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ برفع قتل ونصب أولادهم وخفض شركاؤهم.

وقرأ بعضهم ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ برفع قتل ونصب أولادهم وخفض شركاؤهم.

فهذه أربع قراءات، الأولى أبينها وأصحها - على قياس النحاة تنصب - (قتل) (بزيّن)، وخفض (أولادهم) بالإضافة، و(شركاؤهم) رفع بزيّن لا بالقتل.

(خالصة) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ (الأنعام: 139)

18 المرجع نفسه، ج2، ص211.

19 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج3، ص36.

20 ابن جني، المحصب، مصدر سابق، ج1، ص193.

21 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج4، ص29؛ ابن جني، المحصب، مصدر سابق، ج1، ص229؛

النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص97.

22 النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص97-98.

قرأها قتادة (خالصة) بالنصب وقرأها ابن عباس (خالصة) بالكسر.²³

(أَحْسَنُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾
(الأنعام: 154) بِالضَّمِّ فِي قِرَاءَةِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ وَالْحَسَنَ وَالْأَعْمَشَ وَابْنِ إِسْحَاقَ.²⁴

(وَيَذَرُهُمْ، وَيَذَرُهُمْ، وَيَذَرُهُمْ) بالرفع والنصب والجزم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِي لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأعراف: 186)، قال الأشموني: ²⁵ الجزم بالعطف، والرفع على الاستئناف، والنصب بأن مضمرة، ونسب أبو حيان ²⁶ قراءة الجزم للكسائي والأعمش وخلف - ولم ترد قراءة النصب عنده.

(عباداً) بالنصب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾
(الأعراف: 194) في قراءة سعيد بن جبير.²⁷

(فَشَرَّدَ) بالذال المعجمة في قوله تعالى: ﴿فَشَرَّدَ بِهِم﴾ (الأنفال: 57) في قراءة ابن مسعود والأعمش والمطوعي.²⁸

(عشر) يسكون الرائ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾
(التوبة: 36) في قراءة حفص.²⁹

(عِدَّةً) و(عِدَّةً) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عِدَّةً﴾ (التوبة: 36) في قراءة عاصم، وقرأها غيره (عِدَّةً).³⁰

(فلتفرحوا) في قوله تعالى: ﴿وَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس: 58) في قراءة أبي محيصة وأنس وابن عامر.³¹

(ولا تبعان) بالإسكان في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَبْعَانِ﴾ (يونس: 89) في

²³ ابن جني، المحاسب، ج 1، ص 232.

²⁴ أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج 4، ص 255؛ ابن جنی، المحسب، مصدر سابق، ج 1، ص 234.

²⁵ الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج 4، ص 24.

²⁶ أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج 4، ص 433.

²⁷ الأشمونى، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج 1، ص 255.

²⁸ ابن جني، المحاسب، مصدر سابق، ج 1، ص 280؛ أبو حيان، البحر المحیط، ج 4، ص 509.

²⁹ أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج5، ص338.

30 الأشمونى، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص37.

³¹ أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج5، ص172؛ ابن جنی، المحیط، مصدر سابق، ج1، ص302.

قراءة ابن ذكوان ويزيد بن القعقاع، ورؤي أن رسول الله ﷺ قرأ بها.³²

(حاشاً) في قوله تعالى: ﴿حَاشَا لِلَّهِ﴾ (يوسف:31) في قراءة أبي السَّمَال أي تنزيهاً، كما يُقال: سَقِيًّا ورُعِيًّا، وقرأها ابن مسعود (حَاشَا لِلَّهِ)، قال الأشموني: والوجه في قراءة من ترك التنوين أن تكون مبنية لشبهها بحاشا الحرفية لفظاً ومعنى.³³

وتأتي حاشا على ثلاثة أوجه:

الأول: استثنائية وهي بمنزلة إلا.

الثاني: تكون اسماً كما في الآية فقد جاءت اسماً مرادفاً للتنزيه منصوب انتصاب المصدر الواقع بدلاً من اللفظ بالفعل على غرار ما جاء في قراءة ابن مسعود (حَاشَا لِلَّهِ) بالإضافة كعماذ الله، وسبحان الله.

الثالث: تكون فعلاً متعدياً متصرفاً نحو "حاشيته"، بمعنى استثنيته.

(طبيي) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ (الرعد:29) في قراءة بعضهم.³⁴

(يَا بُشْرَى) في قوله تعالى: ﴿يَا بُشْرَى﴾ (يوسف:19) في قراءة الحسن وأبي إسحاق وعاصم، ونسب النحاس هذه القراءة لأهل الكوفة.³⁵

(تَهَوَّى) في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم:37) في قراءة علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومجاهد رضي الله عنهم.³⁶

(وَعْدَهُ رُسُلِهِ) في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (إبراهيم:47) قرئ بها، قال أبو حيان: ولم تنسب هذه القراءة لأحد.³⁷

(خَلَفَكَ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَا يَلْبُسُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء:76) في

³² أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج5، ص187.

³³ الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج4، ص310.

³⁴ أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص29.

³⁵ النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص319.

³⁶ ابن جني، المحتسب، مصدر سابق، ج1، ص364.

³⁷ أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج5، ص439.

(إِلَّا أَنَّهُمْ) بالفتح في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ (الفرقان: 20) في قراءة ابن جبير.

قال رضي الدين في شرح الكافية: 48 كما قرئ في الشواذ: (وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 42).

(مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ) بالكسر في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (الروم: 4)، في قراءة أبي السمال، والجحدري، وفي قراءة (مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ) بالتسوين، 49 ولم تُنسب هذه القراءة لأحد.

(وَمَلَايَكُتُهُ) بالضم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ (الأحزاب: 56) في قراءة ابن عباس. 50

(لَا عَلَى) في قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْنَا أَزْوَاجَ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سبا: 24) في قراءة أبي محيصن. 51

(أَنذَرْتَهُمْ) بدون همز في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس: 10) في قراءة أبي محيصن والزهري. 52

(صَنِحَّةً) بالضم في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَنِحَةً وَاحِدَةً﴾ (يس: 29) في قراءة أبي جعفر وشيبة والأعرج. 53

(وَأَنْ كُلَّ) في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: 32) في قراءة الكوفيين. 54 قال النحاس: هذه إنَّ الثقيلة في الأصل خُففت فزال عملها

48 رضي الدين الاسترابادي، شرح الكافية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م) ج2، ص256.

49 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص269.

50 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج7، ص248.

51 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج3، ص110.

52 ابن جني، المحصن، مصدر سابق، ج2، ص204.

53 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج7، ص332.

54 النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج3، ص393.

في أكثر اللغات ولازمتها اللام فرقاً بينها وبين إنَّ التي بمعنى ما.

(حِينَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ (ص:3) في قراءة أبي السَّمَال⁵⁵ وقرأ عيسى بن عمر (وَلَاتَ حِينَ) بالتثوين.

هذه القراءات قوبلت من قبل النحاة المتقدمين بالإنكار والإعراض لمخالفتها للقياس العام، ونادوا بعدم الالتفات إلى الشواذ والنوادر قال الميرد⁵⁶: إذا جعلت النوادر والشواذ غرضك واعتمدت عليها في مقاييسك كثرت زلاتك.

وكان المازني أستاذ الميرد سابقاً في رد النادر والشاذ من الروايات والقراءات، وأسهم بعض نخبة الكوفة في هذا؛ فالفراء يُلحّن بعض القراء الذين تواترت قراءاتهم في السبع ومن قبله الكسائي كانت له مشاركة في رد قراءة بعض القراء.

ونقل أبو حيان وغيره⁵⁷ عن الفراء في بعض القراءات قوله: لعلها من وهم القراء؛ فإنه قل من سليم منهم من الوهم.

أما النحاة المتأخرون - كما نوهنا - فيرون: أن كل ما ورد في القرآن وقُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً، وعابوا على النحاة المتقدمين رد بعض القراءات وتلحين القراء فيها، وقالوا: إنّ هذه القراءات ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها.

هذه الظواهر التي نلتبسها في القرآن هي مما نجده في كلام العرب وهذا دليل على أنها لغات؛ فهي حُجّة على ما ذهب إليه أبو الفتح عثمان بن جني، وظهر ذلك في إعراب جمع المذكر السالم وهو الجمع الذي سلم فيه بناء الواحد، وكان علماً لمُذكر عاقلٍ خالٍ من تاء التأنيث ومن التركيب، نحو (عامر) أو كان صفة لمُذكر عاقلٍ خالية من تاء التأنيث، وليس من باب "أفعل فعلاء" ولا من باب "فعلان

⁵⁵ أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج7، ص383.

56 أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1399م) ج1، ص115.

57 انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، *خزانة الأدب* (القاهرة: المطبعة الأميرية بولاق، نشر دار صادر، ط1) ج2، ص376، 377؛ ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، تحقيق برشتاسر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1400هـ) ج2، ص254، 298.

فعلى" ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث. وأشار ابن مالك إلى ما ألحق بجمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعاً والياء نصباً وجرّاً وذلك في قوله: 58

وارفع بواو وبيا اجرراً وانصب
سالم جمع عامر ومذنب
وشبه ذين وبه عشرونا
وبأبؤه الحِقِّ والأهلونا
أولوا وعالمون عليونا
وأرضون شذ والسنونا
وبابه ومثل حين قد يرد
ذا الباب وهو عند قوم يطرد

قال ابن عقيل في شرحه: 59 فهذه كلها ملحقة بجمع المذكر السالم وذكر ابن معط: 60 أنها غير مستكملة للشروط وهذه علة الإلحاق.

وأشار ابن مالك إلى باب (سنين) وهو كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوّض عنها هاء التأنيث ولم يُكسّر (كمائة ومئتين وثبة وثبين).

وذهب ابن عقيل: 61 إلى أنّ هذا الاستعمال شائع لا سيما في هذا الباب (كشفة وشفاه) لم يُستعمل إلا شذوذاً، وجمعه أيضاً بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجرّاً، فقالوا: (ظُبُون وظُيُن)، ومن ذلك أيضاً (إرة وإرين) و(قلة وقلين).

قال الأشموني: 62 وأصل إرة - وهي موضع النار - إرى، وأصل قلة - عودان يلعب بهما الصبيان - قلو؛ فهذه جميعها جموع تكسير لتغير لفظ الواحد فيها ولكنها أجريت مجرى الصحيح في الإعراب تعويضاً عن المحذوف. 63

وكثر هذا الاستعمال في باب سنين؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَيْتُمْ فِي

58 أبو عبد الله محمد بن مالك، الألفية، مطبوعة ضمن "مهمات المتون" للبركوي (بيروت: دار الفكر، ط4، 1949م) باب "المعرب والمبني".

59 بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح الألفية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (دار إحياء الكتب العربية، د. ت) ج1، ص62؛ ابن مالك، الألفية، مصدر سابق، باب "المعرب والمبني".

60 يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزوازي، الفصول الخمسون، تحقيق محمود الطناحي (مطبعة الخريجي، د. ت) ص162.

61 ابن عقيل، شرح الألفية، مصدر سابق، ج1، ص64.

62 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج1، ص95.

63 بدر الدين بن محمد بن جمال الدين بن مالك بن الناظم، شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، د. ت)، ص47.

سنين فيقولون (عضينك) في الرفع و(عضينك) في النصب والخفض.⁷²

وعدم التزام بعض العرب بإعراب المثني جارٍ تماماً كالذي في الجمع وهذا كثير
في شعرهم وأقوالهم ومنه قول رؤبة:⁷³
أعرف منها الجيد والعينانا ومنخيرين أشبها ظيئانا

قال (العينانا)، حيث فتح النون في المثني بعد الألف. وجاء بالمثني بالألف في حالة
النصب، وهذه لغة جماعة من العرب، وقد تقدّم ذكرهم.

ومنه قول سحيم بن وثيل الرباعي:⁷⁴
وماذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حدّ الأربعين

قال: "الأربعين" حيث كسر النون في جمع المذكر.

ومنه قول جرير:⁷⁵
عرفنا جعفرًا وبني أبيه وأنكرنا زعانف آخرين

قال: (آخرين) حيث أعربه بالياء إعراب جمع المذكر السالم، ثم كسر النون
بعدها وهي في لغة جمهرة العرب مفتوحة.

ومنه قول الآخر:⁷⁶
يا أبتا أرقني القِرْآنُ فالنوم لا تألفه العينانُ

قال: (العينانُ) بضم النون في المثني وهي لغة بعض العرب وهذا إنما يجيء مع
الألف لا مع الياء.

⁷² عبد الله بن يوسف بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط6، 1980م) ج1، ص37.

⁷³ ديوانه

⁷⁴ انظر: ديوانه؛ المرد، المقضب، مصدر سابق، ج3، ص332، ج4، ص37

⁷⁵ ديوانه؛ والأشعري، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج1، ص89.

⁷⁶ ديوانه؛ النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج4، ص166.

وسَمِعَ تشديدُ نونِ المثني في تثنية الإشارة والموصول، وقد قرئ بالتشديد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا﴾ (النساء: 16)، وقوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾ (القصص: 32)، وقوله تعالى: ﴿إِحْدَى ابْنَيْ هَاتَيْنِ﴾ (القصص: 27) وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ (فصلت: 29).

قال السيوطي وغيره: ⁷⁷ وتُحذف هذه النون للإضافة إما ظاهرة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ (القمر: 27)، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد: 1) ولشبهه الإضافة نحو: "لا غلامي لعمرو، ولا مكرمي لعمرو"

أو مقدرة كقول تأبط شراً: 78

هما خطتا إما إيسار ومِنّة وإما دم والموت بالحرّ أجدر

قال: (خُطَّتَا) بجذف النون للإضافة فيمن رواه بالحذف وفصل بين المتضايفين
بِأَمَّا، ويُروى البيت بالرفع هكذا: "إِذَا إِسَارٌ وَمِئَنٌ".

وعلى ذلك يكون الحذف ضرورة.

وحذف بعضهم النون لتقصير الصلة نحو قولهم: "الضارب زيدا والضاربو عمراً" وحكى المبرّد⁷⁹ عن سيبويه⁸⁰ قوله: "وحذف النون لطول الاسم إذا صار ما بعد الاسم صلة له وذلك تخفيفاً له ومن ذلك قول الأخطل:

أبني كليب إن عمي اللذا
قتلا الملوك وفككا الأغلال

وقول الأشهب بن نويرة:

وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القومُ كلُّ القوم يا أمّ مالك

فحذف لطول الصلاة.⁸¹

⁷⁷ السيوطي، همع الموامع شرح جمع الجوامع (القاهرة: مطبعة كردستان العلمية، 1938) ج 1، ص 49.

78 ديوانه، انظر: الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص267.

⁷⁹ المبرد، المقتضب، مصدر سابق، ج4، ص146.

80 انظر: ابن جني، المحاسب، مصدر سابق، ج1، ص185.

81 سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج 1، ص 96.

قال الفراء: وهم يحذفون ما طال في كلامهم، وذهب الميرد إلى أن ذلك مما تختص به اللذان واللثان

خلاصة البحث ونتائجه:

استكمالاً لمحاور البحث الوارد ذكرها واستقراءً لمفرداته ؛ فإننا نخلص إلى النتائج الآتية:

أ - إن القرآن الكريم هو خاتم الكتب، أنزله الله على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، وفيه من ضروب البلاغة ما أعجز ويُعجز.

ب - إن ظاهرة (اللحن) في كثير من الآيات التي ورد ذكرها وفي غيرها مما لم نذكر هي ظواهر إعجازية، وظاهر الإعجاز فيها يتمثل في أن القرآن الكريم قد نزل مُتضمناً لغات العرب - إن بلفظها وإن بمعناها -، وبعض هذه اللغات - كما رأينا - شاذة وعلى قياسها وردت القراءات الشاذة خلافاً للمسموع من كلام العرب .

ج - لقد رأينا أن تلك الظواهر في القرآن ظواهر محدودة وهي في لغات العرب محدودة كذلك.

د - ليس ما يُتوهم ظاهره لحن في القرآن بلحن ؛ إنما هو لغات حكمتها العرب فجاء القرآن بتلك اللغات إمعاناً في التحدي .

هـ - لم يُنقل عن الرسول ﷺ وهو أفصح من نطق، أنه أنكر بعض لغات العرب لا سيما الشاذ منها.

و - إن القبائل - باختلاف لغاتها - كانت في قراءاتها تحرص على لغتها ولا ترضى عن الأخرى بديلاً.

ومن خلال معالجة الموضوع على النحو السابق يمكننا أن نستنتج أن ما ظاهره لحن في القرآن (وهو في الحقيقة ليس بلحن) مردّه إلى ما يأتي:

1 - اختلاف وجوه الإعراب.

- 2 - اختلاف الحروف.
- 3 - اختلاف القراءة في اللفظ الواحد.
- 4 - ترادف بعض الكلمات.
- 5 - التقديم والتأخير.
- 6 - الزيادة والنقصان.
- 7 - الاختلاف في ضبط الأصوات.
- 8 - اختلاف لغات العرب.
- 9 - اختلاف الرسم الإملائي.
- 10 - اختلاف علامات الضبط.

والحقُّ إن مجموع هذه الظواهر مما نلتمسه في القراءات لا سيما الشاذ منها، إنما هو لغات حكمتها العرب، وهذا مما يقوِّي قول من قال : اللغات جميعها حُجَّة، وإن كل ما ورد من قراءات مما قالته العرب ؛ فهو صحيح، وبناءً عليه فيجوز الاحتجاج به، ولا يمنع أن يكون من هذه اللغات : الفصح والأفصح ؛ ومنها الضعيف والأضعف، وإنما الاعتماد على الأفصح ثم الفصح من كلام العرب وهو مما يجري عليه القياس؛ فالقياس يجري على الكثير والأكثر لا على القليل والأقل. وما ورد بقلّة في كلام العرب ليس أصلاً ينقاس عليه.

-

-

-

-
